

سلسلة  
آفاق  
عالمية  
51

# لعبة الحياة

مختارات من القصة الإيرانية القصيرة

ترجمة وتقديم: د. هويدا عزت محمد

الهيئة العامة لقصور الثقافة







**« لعبة الحياة »  
مختارات من القصة  
الإيرانية القصيرة**



# « لعبة الحياة »

## مختارات من القصة الإيرانية القصيرة

ترجمة وتقديم  
د. هويدا عزت محمد



المدينة العامة  
للمصور الثقافة

سلسلة شهرية تعنى بنشر الأعمال المترجمة إلى اللغة  
العربية في الأدب والنقد والفكر من مختلف اللغات

### • هيئة التحرير •

رئيس التحرير  
طلعت الشايب  
مدير التحرير  
تغريد كامل إمام  
سكرتير التحرير  
وليد محمد عبد العزيز

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة  
بل تعبر عن رأي وتوجه المؤلف في المقام الأول.

• حقوق النشر والطباعة محفوظة للهيئة العامة لقصور الثقافة.  
• يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن  
كتابي من الهيئة العامة لقصور الثقافة، أو بالإشارة إلى المصدر.

## سلسلة آفاق عالمية

تصدرها  
الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة  
د. أحمد نوار  
أمين عام النشر  
د. أحمد مجاهد  
الإشراف العام  
محمد أبوالمجد

• لعبة الحياة،  
• هويدا عزت محمد  
• الطبعة الأولى،  
الهيئة العامة لقصور الثقافة  
القاهرة - ٢٠٠٦ م  
٨٨ ص. ١٢ ث ١٩ سم  
• تصميم الغلاف، أحمد اللباد  
• المراجعة اللغوية، معدوح بدران  
• رقم الإيداع، ١٦٩٠٩ / ٢٠٠٦  
• الترقيم الدولي، 7-998-305-977  
• المراسلات،  
باسم / مدير التحرير  
على العنوان التالي، ١٦ شارع أمين  
سامي - قصير العيني  
القاهرة - رقم بريدي ١١٥٦١  
ت، ٧٩٤٧٨٩١ (داخل ١٨٠١)

• الطباعة والتنفيذ،  
شركة الأمل للطباعة والنشر  
ت، ٢٩٠٤٠٩٦

**« لعبة الحياة »**  
**مختارات من القصة الإيرانية القصيرة**





## تقديم

إن عالم المرأة عالم شديد الخصوصية، يكتنفه العديد من الأسرار، وما تبديه المرأة من مشاعر وأحاسيس وانفعالات تجاه ما حولها ومن حولها أقل بكثير مما يخلج بين ضلوعها، والمتصفح للأدب النسائي بشقيه الشعري والنثري، يستطيع أن يتلمس بعض ما يحويه هذا العالم بالقدر الذى تسمح به الأدبية وكما تظهره عبر مفردات لغتها الشعرية أو النثرية وفقاً لمنظورها ورؤيتها الخاصة.

هذا وقد حاولت الاقتراب أكثر من هذا العالم، فتصفحنت بعض القصص القصيرة للعديد من الكاتبات الإيرانيات فى عصرنا، ووقع اختياري على كاتبتين، هما : فريده خردمند وطاهره علوى.

الأولى درست الأدب الدرامى والمسرحى فى كلية الفنون

الدرامية، عملت لمدة ثلاثة أعوام فى مسرح الإذاعة والتليفزيون بطهران، ثم اتجهت بعد ذلك لدراسة فن كتابة القصة السينمائية، وزاولت نشاطها من بعد فى تأليف القصة.

من مؤلفاتها ثلاث قصص فى أدب الأطفال، تحت عنوان : «آرزوى سهره»، و «بادبادك» و «عروسكم ورنكها» بالإضافة إلى ثلاث مجموعات قصصية تحت عنوان : «پرنده هست» و «آرامش شبانه وسيلويا» و «سيلويا». ومجموعتها القصصية «پرنده هست» - أى الطائر - تضم تسع عشرة قصة قصيرة، وقد وقع اختيارى على سبع منها لترجمتها.

أما طاهره علوى فقد برعت فى تدوين القصة القصيرة، وتناولت الأمور الحياتية بشكل يتسم بالواقعية وبأسلوب يتدفق بالعذوبة والسلاسة. من مؤلفاتها ثلاث مجموعات قصصية تحت عنوان : «من وهایدگر»، و «زندگى من درسه شنبه ها اتفاق من افتد» و «زن درباد» والمجموعة الأخيرة «زن درباد» - أى امرأة فى مهب الريح - تحوى تسع قصص قصيرة، يبدو فيها بجلاء تمكن الكاتبة من مفردات اللغة وإجادتها فى العرض وفقاً للتكنيك الفنى للقصة. هذا وسوف أعرض لترجمة ثلاث قصص

من هذه المجموعة.

وفى النهاية، أرجو من الله العلى القدير أن يكون قد وفقنى إلى أن أقدم للقارئ العربى رؤية واضحة لعالم المرأة فى أحد المجتمعات الشرقية الإسلامية، تعينه على إدراك الصورة الحقيقية لعادات وتقاليد وثقافة هذا المجتمع.

هويدا عزت





## «أوليا»

فريده خردمند

جميعنا يحب أوليا، أنا وأختي وفرهانة التي تعيش أوليا في منزلها، وحتى والدة فرهانة السيدة سرهنج التي دوماً ما تصدر الأوامر إلى أوليا، وتقوم بتوبيخها حينما تكون غاضبة، وأمي تحبها أيضاً على الرغم من قلة رؤيتها لها.

اتسمت أوليا بهدوء الطبع وقلة الحديث، دوماً تبتسم، كانت ترتدى عباءة مزركشة جميلة حينما جاءت منذ ثلاثة أعوام مع والدها إلى المدينة، وظلت في منزل السيدة سرهنج، لم نر شقيقها إبراهيم لكن والدها كان يأتي إلى المدينة مرة كل شهر حتى يراها ويأخذ أجره عملها، لم تكن أوليا من النوع حاد المزاج بل كانت تبتسم دوماً.

كان الطقس صيفاً، وأحياناً كنت أذهب مع أختي إلى منزل

فرهانة الذى يبعد عن منزلنا بثلاث حارات، كنا نجلس تحت شجرة الصفصاف فوق الخضرة ونجهز مائدة صغيرة، ونشعل ثلاث شموعات بين حجرين متوازيين ونضع فوقهما إناءً صغيراً يحتوى على الأرز والطماطم، ونجلس عرائسنا حول الموقد، وعندما تفوح رائحة الأرز نشعر بالجوع.

وفى الأيام التى لا توجد فيها والدة فرهانة فى المنزل، وتقل الأعباء المنزلية على أوليا، تأتى لتجلس بجوارنا وتنظر إلينا فى لهونا وتبتسم ومهما ألحنا عليها كى تشاركنا لهونا لا تستجيب وحينما يعلو صوت الباب تقفز من مكانها، كنت أعلم مدى خشيتها من السيدة سرهنج، وأنا كذلك كنت أخشى حركة عينيها فى بعض الأحيان.

كانت فرهانة وأختى زميلتين فى فصل دراسى واحد، بالأمس بينما كنا نلهو كانتا تتهامسان وتضحكان، فغضبت منهما، وحملت عروستى وذهبت بعيداً عنهما، وجلست أمام أوليا وهى تقوم بتنظيف الخضروات فى المطبخ، وجعلت أنظر إليها فى سكون. إننى أحبها أكثر من أختى وفرهانة، جعلت أحدث إلى عروستى بينما أختلس النظر إلى يديها اللتين تماثلان يدي فى الطول.



وفى أوقات العصر كنا نركب الدراجة بينما تقف أوليا أمام الباب تنتظر إلينا، إنها لا تستطيع حفظ توازنها أثناء ركوب الدراجة، فحينما فعلت ذلك اشتبكت عبايتها بالجنزير وتمزقت. كان لفرهانة دراجة جميلة، كنا نركبها كل فى دوره، وحينما يحل الدور على لا أحاول السير فى الطرق المنحدرة، وحينما تأخذ الدراجة سرعتها أترك عجلة القيادة وأبدو وكأننى لاعبة ماهرة، فتضحك أوليا وأنا كذلك لكننى سرعان ما كنت أمسك بعجلة القيادة خشية الارتطام بالأرض، وتمد أوليا يدها إلى فأحييها تحية الأبطال.

أذكر أن مثل هذا المشهد كان فى أحد الأفلام التليفزيونية، إننى أحب الأفلام وأحفظها عن ظهر قلب، مثل : «أربعة من رجال القانون» و «الهروب» كما أعلم جيداً جميع البرامج التليفزيونية ومواعيد إذاعتها.

وفى الغروب نعود إلى المنزل منهكين متعبين، وبعدها نسمع صوت أقدام والدنا وهو عائد من الخارج بأكياس الفاكهة التى عادة ما يكون قاعها رطباً أو ممزقاً قليلاً.

وبعد ما يحل الليل، أمدد جسدى فوق مخدعى على وسادة

لينة بجوار دميتى وأعد النجوم حتى يغلبنى النوم وأنا لم أصل  
بعد إلى العدد ثلاثين، حيث تتلاشى النجوم أمام عينى ولا  
أراها.

خلال النهار أحيك لعروستى فستاناً مزركشاً أنيقاً، وقد  
أطلقت عليها اسم أوليا، كانت أمى تقول : هذا اسم نحس وأندم  
لأننى ذكرت اسمها أمام أمى، وحينما تخرج من الغرفة، أقف  
أمام المرأة، وأتعهد بينى وبين نفسى بالألا أتفوه بسر أبدأ، أمام  
من يكبرنى، حتى أمام أختى.

وفى اليوم التالى، توجهنا إلى منزل فرهانة وجعلنا نلهو حتى  
الغروب، وعند الرحيل قدمت دميتى إلى أوليا، فأخفتها بدورها  
تحت العباءة، لقد كنت أماً لدميتى خلال أوقات النهار، وفى  
أوقات الليل تقوم أوليا بهذا الدور، لا أعلم لم كنت أتحيل أن  
أوليا تطلق اسمى أيضاً على الدمية ؟!

واليوم تسلقنا معاً تكعيبية العنب، وقطفنا الأوراق الخضراء  
والغد هو عيد ميلاد فرهانة، إننى لا أعلم متى ولدت أوليا؟ حينما  
كنت أسألها كانت تبتسم فقط، وكأنها لا تعلم هى الأخرى تاريخ  
ميلادها.

وارتدت فرهانة فستاناً من البيليسيه، كان أجمل فستان بين  
كل المدعوات، وعقدت شعرها بورده بيضاء اللون كبيرة الحجم،  
وقمت بعد الشمع الملون الصغير فوق كعكة عيد الميلاد :

١، ٢، ٣، ٤، .....، ١٣. كانت والدتها تتنقل هنا وهناك  
بحذاء يصدر صوتاً، وتقوم بإشعال الشمع بينما التفت صديقات  
فرهانة حولها، كانت أختي بينهن، ومالت فرهانة نحو المائدة،  
ونفخت في الشمع فلم ينطفئ، نفخت ثانية، وصفق الجميع،  
وقسمت الكعكة. وكم ألححت على أوليا كي ألتقط لها صورة إلا  
أنها كانت ترفض بشدة، وأعربت السيدة فرهانة عن ضيقها  
وتبرمها، ففرت أوليا تجاه المطبخ.

كان والدها طويل القامة، عريض المنكبين، ذا هيبة، لا ينظر  
في عين شخص قط، كانت يداه كبيرة الحجم. أحضرت أوليا  
الشاي وقدمته إليه، وأحضرت والدته فرهانة بعض النقود  
ووضعتها بجوار الصينية.

انتهى فصل الصيف وذهبت مع أمي لشراء بعض  
الاحتياجات، اشترت لي إيشارياً وحذاء وجورياً وكراسة وقلماً  
وحقيبة. لم تذهب أوليا إلى المدرسة، لقد احتفظت لها بقلم



وكراسة بعيداً عن أنظار أمى.

وبعد عدة أيام بدأت الدراسة، وجلست فى الفصل بجوار النافذة، كانت جميع حواسى تتجه نحو العصافير وأصواتها، لم أكن أدرى لم يشبه أحدها أولياً؟ فبين هذه العصافير كان يوجد عصفور يختلف عن الجميع، حيث كان أكثر هدوءاً، لقد اشتقت إلى أيام الصيف الطويلة ورائحة الأرز بالطماطم. لم أكن أحب الحساب والهندسة، وعلى العكس كنت أحب حصّة الإملاء والتعبير، كنت أصغى باهتمام بالغ لكل من يقرأ موضوع التعبير، وأنتظر حتى تناديني المعلمة فى دورى.

وعلى الرغم من بداية الدراسة إلا أننا كنا نداوم على ركوب الدراجة فى أوقات العصر، كنت أتفحص بنظري الأوراق الجافة على الأرض وأسير فوقها بالدراجة لا أدرى لم أعادت أولياً إلى الدمية أثناء رحيلى وهى منكسة الرأس؟ لم أتمكن من رؤية وجهها، لكننى كنت أشعر بأنها لن تبترسم ثانية، أخذت الدمية وجعلت أبكى طوال الطريق حتى وصولى إلى المنزل، وعندئذ، وكالعادة، تتشاجر أختى معى ثم تبادر بالشكوى إلى أمى، فأستاء من هذا السلوك، وأمتنع عن تناول العشاء، وأمدد

جسدى على وسادة باردة، وأوليا تنام بجوارى. لم تعد لى طاقة على عد النجوم، أبكى، تتحرك النجوم وتنسأل من بين ثنايا عيني.

لا أعرف شخصاً قط فى هذا الحفل الكبير سوى فرهانة وأختى، كانت أوليا تتشع بالسواد من الرأس حتى إخمص القدم، تجلس صامته بجوارى، بينما كانت أختى وفرهانة تبدوان وكأنهما تبحثان عن شخص ما بين المدعوين، كنت أسمع صوت حذاء والددة فرهانة، لكننى لم أكن أراها، والتفت فلم أجد أوليا بجوارى، كانت أختى تطل برأسها من وراء الحائط وتشاور بيديها واتجهت إلى حجرة أوليا، كانت عباعتها المزركشة فى أحد أركان الحجرة، لكن أوليا غير موجودة.

استيقظت من النوم، وتوجهت إلى أختى التى كانت تغط فى نومها، مددت جسدى بجوارها، وألصقت نفسى بها وتكورت من شدة الخوف.

اليوم أحاول أن أتتبع أثر العصافير من نافذة الفصل، لكن لا أثر لها. وفى العصر، رغبت فى الذهاب إلى منزل فرهانة إلا أن أختى رفضت رغم شدة إلحاحى، وتوجهت إلى حجرتها، فذهبت

بمفردى.

كنت أتخيل فى البداية أننى دخلت إحدى الحارات على سبيل  
الخطأ، لا أعلم لم كانت الحارة غير مألوفة لى؟!

كان باب المنزل مفتوحاً، تفقدت المكان، كان البعض يقف فى  
الفناء، بينما يعلو صوت بكاء إحدى السيدات. وقفت تحت  
التكعيبية، وسمعت صوت أقدام فالتفت ورائى، فإذا بوالد أوليا  
يسير بجوارى دون أن ينتبه لى، وحينما بلغ البوابة جعل ينوح  
ويبكى. هذه هى المرة الأولى التى أسمع فيها صوت بكاء رجل،  
ارتعدت فرائصى، تراجعت خطوة بعد الأخرى، رفعت رأسى إلى  
أعلى، لقد تسلقنا التكعيبية مع أوليا، كنا نقطف معاً أوراقها  
الخشراء، وتفوح رائحة الأرز بالطماطم، وتضحك أختى  
وفرهانة، وتطفئ الرياح شعلة الشمع.

توجهت إلى المنزل، كانت أمى تبكى داخل المطبخ دون أن  
تصدر صوتاً، وانكمشت أختى تحت الملحفة وهى ترتعد، لكننى  
لا أصدق، إننى حتى لم أذرف قطرة دمع واحدة.



## النافذة

فريده خردمند

مددت جسدى تحت شجرة ضخمة وسط المستشفى، أضع عليه ملحفة زرقاء اللون، وبجوارى «غزال» تلوح بيديها الرقيقة فى الهواء، ويقف منصور بجوار السرير وفى يده ثلاث أزهار من مريم وهو يبتسم. تتقدم يدا امرأة شابة، أنظر إليها فى خشية، إنها تريد «غزال»، أضم الطفلة بين ضلوعى، أمعن النظر إليها حتى أضناني التعب، تتحرك الطفلة أثناء نومها دون أن تستيقظ، وتميل هذه المرة نحو سريري، تمد يديها إلى الأمام، تتعالى صيحاتي، تسقط أزهار مريم من يد منصور، تتوارى «غزال»، أعض على شفتى ويأخذنى البكاء. ينظر منصور إلى وإلى «غزال» فزعاً مضطرباً، يتصبب العرق من جبيني، يخفق قلبى بشدة، أزيح الستار جانباً، ويقع نظرى على النافذة المجاورة.

بعد عدة أيام من البحث عثرت أنا ومنصور على شقة صغيرة ذات سلم ضيق قليلاً، لكننا حين ندخلها تجذبنا نوافذها، منزل صغير إلا أنه نظيف تماماً، به حمام وتواليت صغير، مساحة المطبخ تسمح فقط بوجود ثلاجة، وموقد غازي، ومائدة وكرسی أو اثنين «جحر فئران»، هذا هو الاسم الذي كانت تطلقه أمي على المنزل، وما كان يعوضني عن ذلك هو سهولة تنظيفه، والأهم من ذلك نوافذه، فحينما نفتحها نرى السماء والأرض والأشجار والعصافير والنافذة المجاورة.

انتقلنا إليه في غضون ثلاثة أيام، وها أنذا أستقل الآن عن منزل أبي بعد مكوثي فيه ثلاثة أعوام، الآن أستطيع أنا ومنصور أن نكرر القول على أصدقائنا وأفراد الأسرة بكل خيلاء : «تفضلوا إلى منزلنا» وفي الأيام الأولى زارنا بعضهم وقمنا باستقبالهم في «جحر الفئران» هذا ذي الستين متراً بحفاوة بالغة، وقدمنا إليهم الشاي والحلوى.

لقد حصل منصور على شهادة البكالوريوس في هندسة إنشاء الطرق والمباني، ويعمل الآن في إحدى الشركات الخاصة المتعثرة على حد قوله، أما أنا فقد درست فن الديكور، وأنهيت

دراستى منذ ثلاثة أعوام، وتعرفت على منصور فى إحدى الضيافات. كانت والدته تلمز بالحديث : «هل الديكور يدرس ؟» بينما كان منصور هادئاً صامتاً. إنه لا يحب المعارف الجديدة، كان خروجنا فى أضيق الحدود وداخل نطاق الزيارات العائلية، بينما كنت على العكس منه تماماً وأعتبر أن مثل هذه الزيارات نمطية تجلب الملل.

مرت الأيام الأولى بعد استقلالنا على نحو طيب، كنت أفسق فى أوقات الصباح بعد خروج منصور، وفى أيام الأحد والثلاثاء والخميس أقف فى الطابور مع الجارات لشراء اللبن من دكان على أفا الذى يبعد عن منزلنا بشارع واحد، ورويداً رويداً تعرفت عليهن.

كنت أشتري الخضروات الطازجة من دكان أكبر أفا، ولما كنت أتمتع بطول البال ولدى الوقت الكافى، كنت أجلس وأقوم بتنظيف الخضروات وغسلها وتقطيعها وتشويحها ثم تقسيمها ووضعها فى فريزر الثلاجة، كنت أقوم كذلك بكنس المنزل وتنظيفه، فكان «جحر الفئران» يبرق دوماً.

كان منصور يتسم بالصبر والهدوء، ولا يتدخل فى مثل هذه

الأمور، لكننى كنت أشك قليلاً، وأستاء من عدم اهتمامه بما أقوم به، لكننى لم أتأثر كثيراً بذلك الأمر.

كنت أطهو الطعام وأعد المائدة وأنا فى كامل سعادتى، وحينما يأتى منصور إلى المنزل وقت الظهيرة، كانت رائحة الطعام تفوح وتطوى درجات السلم التى يصعد بها واحدة تلو الأخرى.

كانت صاحبة المنزل تقيم فى الطابق السفلى، هى امرأة تتمتع بالهدوء ولا تحب الاختلاط، كانت مشغولة طوال الأسبوع إما بالذهاب إلى مجالس ختم القرآن، أو بإيفاء النذور وإعداد موائد الطعام.

وفى أوقات العصر كنت أتجول فى محال المدينة أو فى معارضها، أقف خلف الواجهات الزجاجية، أتفحص قيمة البضائع : الحذاء الكتان الكورى بألف وتسعمائة تومان<sup>(١)</sup>، الإيشارب الهندى المزركش بثمانمائة تومان ومشبك الشعر اليابانى بخمسمائة تومان...

وفى أحد أيام الثلاثاء تعرفت على مريم فى طابور اللبن، كانت طويلة القامة، نحيفة، سوداء العين، وخميرية البشرة، كانت

على العكس منى، فبينما أسير أنا فى عجالة، كانت تتبخر فى سيرها. هذا الاختلاف، وكذلك زجاجة اللبن جعلاً منا نتعرف على الأخرى فحينما يحل الدور على مريم يكون اللبن قد نفذ، فأخرج زجاجة من سلتى وأقدمها إليها، ترفض فى البداية، وحينما أصر تقبلها. كان زوجها أحمد مريضاً يحتاج إلى زجاجة اللبن تلك، هذا ما قالت لى من بعد.

كنا نتجاذب أطراف الحديث حتى نقرب من المنزل، ولاحظت أن منزلها الذى أشارت إليه تواجه نافذته نافذة منزلنا. كنت أقول لها «تمنيت منذ اليوم الأول لمجيئى هنا أن أتعرف على من تعيش فى هذا المنزل» !

وكانت تنظر إلى وتقول : «إن الأمنيات الطيبة الصغيرة سرعان ما تتحقق» ونضحك معاً ونرى فى نظراتنا براءة الطفولة.

وبعد شهرين أصبحنا صديقتين حميمتين، كنا نتقابل كل يوم تقريباً، كانت متزوجة منذ سبعة أعوام، إلا أنها لم تنجب حتى الآن، وشعرت للمرة الأولى بالمرارة والألم فى حديثها ونظراتها وهى تقول : «أحمد يعشق الأطفال، ودائماً يلتف أطفال الأسرة



حوله ويتعلقون به أثناء الضيافات» وهذا ما كان يضاعف من ألمها وحزنها.

أحياناً كانت تلوح بيديها وتدعوني إلى منزلها وهى تقف خلف النافذة، كنت أجلس معها، نستعيد ذكريات الطفولة بطلوها ومرها، والعجيب أن ذكرياتنا كانت متماثلة كمنزلنا ونوافذنا. كانت مريم تحب اللون الأخضر، وكان أمام نافذة كل منا شجرة من نوع «النارون»<sup>(٦)</sup> يكسوها اللون الأخضر. كانت مريم تجلس فى مواجهة النافذة فى كل مرة تزورنى فيها. لو شاهدنا شخص دون أن يعلم مدى هذه الصداقة لتخيل أنها تمتد منذ عشرين عاماً. كانت مشاعرنا صافية أحياناً كنت أتخيل أن ثمة علاقة قريى تربط بينى وبينها.

لقد حاكت مفرشاً جميلاً وأحضرتة لى، كان عليه صورة تمثل السماء الزرقاء وحمامة بيضاء فى أعلى، وأسفله بحر أخضر هادئ، قامت بحياكته وتطريزه وأبدت فيه من الذوق والفن والصبر الكثير، مثلما أبدى أنا فى تنظيف الخضروات وإعداد المائدة.

فى نفس اليوم ذكرت لى بعض ذكرياتها عن مرحلة الطفولة

حين أهداها والدها دمية ذات عيون زرقاء، ولأن مريم كانت  
تعشق البحر فقد أطلقت على دميتها اسم «دریا»<sup>(٣)</sup> وذات يوم  
حدثت مشاجرة بينها وبين أختها مينا، وسقطت دریا وكسرت  
إحدى عينيها. وحينما نظرت إليها عندئذ لست نفس المرارة على  
وجهها، ومنذ ذلك اليوم لم نتحدث ثانية عن دریا، ويوماً بعد يوم  
أضمر منصور الغيرة تجاه مريم لكثرة حديثي معها داخل  
المنزل.

وفى أحد الأسابيع شعرت بألم فى بطنى خاصة فى أوقات  
الصباح، وكانت رائحة الشامبو ومعجون الأسنان اللذين  
يستخدمهما منصور مما يثير استيائى، كان يملكنى القلق  
عندما أنظر إلى نفسى فى المرآة، لقد شحبت لونى ونحف  
جسدى.

حينما خرجنا من عيادة الطبيب كان المطر يهطل بغزارة.  
كنت أبكى طوال الطريق، لم تتوقف قطرات المطر وكذلك دموعى،  
قال منصور فى دهشة : «هذه أمنية كل امرأة ...» ولم أجبه  
وحينما وصلنا إلى المنزل، جلست خلف النافذة أمام شجرة  
النارون، وجعلت أبكى، وتحدث منصور هاتفياً مع الطبيب، فقال

له : «إنه اكتئاب فترة الحمل» فارتاح باله، ولم يقم بأى عمل أمام بكائى.

مضت عدة أيام لم نر فيها مريم ولم أتحدث عنها، اعتقد منصور أن بيننا جفوة فسعد فى قرارة نفسه، كنت أفهم ذلك وألزم الصمت.

فى هذه الأيام كنت ألزم مخدعى حتى الظهيرة، نادراً ما كنت أخرج للتسوق، كنت أحاول ألا أتقابل مع مريم، وهذا ما حدث. لم يعد «جحر الفئران» يبرق كسابق عهده، قل اهتمامى به، كانت أطباق الظهيرة تظل حتى المساء، وأطباق المساء تظل حتى الصباح داخل الحوض دون تنظيف، ولم يبد منصور أى تبرم، بل كان يقوم بغسلها فى بعض الأحيان.

وفى أوقات الغروب فى فصل الخريف الأخاذ الجميل، كانت أصوات جميع من فى الحى مألوفة على مسامعى، كنت أعرف الجميع، كنت أسمع أصوات دعابات الأطفال وشجارهم وتصالحهم. ترى أين مريم الآن ؟ كنت أسمع صوت سيارة أحمد الرينو تحدث صوتاً عالياً ثم تقف، ويعلو صوت الفرامل ويغلق المحرك. كنت أعلم أن مريم تقف الآن وراء النافذة.

ويوماً بعد يوم بدأت صحتي في التحسن، وصرت أكثر ميلاً إلى تناول الطعام على عكس الشهور الأولى، وبدأ حجم بطني يزداد، أحياناً كان الجنين يتحرك خلسة داخل أحشائي، وانقطع تنقلي مع مريم، كنت أتذرع في كل مرة بحجة ما، ويرن جرس الباب فأطل من النافذة وإذا بمريم تقف خلف الباب، لا أفتح الباب، فتمضي، أجلس بجوار النافذة وأبكي.

كانت تمر أيام عديدة دون أن أغادر المنزل، وأسدت ستائر النوافذ جميعها، لا أرى السماء الزرقاء عالياً مرة أخرى، ولا الأرض الخضراء المنخفضة، ولا العصافير ولا مريم، لكنني كنت أرى ظلها كل صباح من وراء الستار وهي تشير إلى يديها وتدعوني إلى منزلها، فيتأثر قلبي وأحاول نسيانها.

كانت تلاحقني ذكرى حية عن صداقتنا في كل مكان تطوّه قدماي بالمنزل، ربما لو كان هذا المنزل مائة وستين متراً لانمحي صوت الذكريات سريعاً وخرج من النوافذ وضاع بين جلبة الأطفال وصياحهم. لكن هذا المنزل الصغير يحتفظ بالذكريات بداخله، أزيح الستار في هدوء، فإذا بأوراق شجرة النارون قد فقدت لونها الأخضر الذي كان لها في السابق، واختنقت أوراقها رويداً رويداً،

لا صوت لها، تشع جمالاً وحرناً فى آن واحد، استسلمت أوراقها  
فى صمت، حيث أيقنت أن الفصل يتبدل.

وبدا الألم فى منتصف إحدى الليالى، وأوصلنى منصور إلى  
المستشفى وهو فى حالة من القلق، وظلت حتى بزوغ الفجر بين  
النوم واليقظة أتحمل الآلام وأصبح مستغيثة بالله وفى لحظات  
السكون بين طلقة الوضع والأخرى ترنو النجوم من النافذة،  
وأ تذكر : «إن الأمنيات الطيبة الصغيرة سرعان ما تتحقق»  
أبتسم، يتضاعف الألم، أضرب بقبضتى على الحائط وما من  
مجيب. وفى الظهيرة أنجبت طفلة، سميتها غزال، وتملكنى  
شعور غريب وجديد.

فى الليلة الأولى التى مكثت فيها فى المنزل مع غزال كانت  
الستائر لا تزال منسدلة، ووضع منصور ثلاث أزهار من مريم  
فى الزهرية المجاورة للسرير، ومددت جسدى تحت شجرة  
ضخمة وسط المستشفى، أغطى جسدى حتى الأكتاف بملحفة  
زرقاء اللون وغزال بجوارى تلوح بيديها الرقيقة فى الهواء،  
ووقف منصور بجوار السرير وفى يده ثلاث أزهار من مريم وهو  
يبتسم، وتتقدم يدا امرأة شابة أنظر إليها فى خشية، إنها تريد



غزال، ضممت الطفلة بين ضلوعي، أمعن النظر إليها حتى  
أضناني التعب، تتحرك الطفلة في نومها دون أن تستيقظ، تميل  
هذه المرة نحو سريري، تمد يديها إلى الأمام، تتعالى صيحاتي،  
تسقط أزهار مريم من يد منصور، تتوارى غزال، أعض على  
شفتي، يأخذني البكاء. ينظر منصور إلى وإلى غزال وهو فزع  
مضطرب، يتصبب العرق من جبيني، يحقق قلبي بشدة، أزيح  
الستار جانباً، ويقع نظري على النافذة المجاورة، كان المنزل  
خالياً لا يعيش فيه أي شخص، وكأن ما من شخص عاش قط  
في ذلك المنزل.

## هوامش:

(١) يعادل الطومان الإيراني عشرة قروش مصرية تقريباً وهو وحدة العملة الإيرانية.

(٢) هي شجرة ظليلة كثيرة الأوراق، ويطلق هذا الاسم على شجرة الدردار أو الكريز أو الرمان.

(٣) دريا هو الاسم الفارسي لكلمة البحر.

## الطائر

فريده خردمند

جاءت في الظلام الدامس، وحينما اقتربت وقفت وسألتني :  
أتصعدين ؟ كان سؤالاً في غير محله، فمن المؤكد أنني كنت  
سأقوم بهذا العمل. أجبتها : نعم. فسألتني على الفور : يمكن  
أن أرافقك حتى الصباح ؟ فأجبتها بالإثبات، لقد لجأت إلى دون  
أن أعرف السبب. سلطنا الطريق معاً، لم أتمكن من رؤية وجهها  
لكنها تمتعت بصوت أنثوى حزين، قالت : أخاف من الظلام،  
قلت : لكن لا أحد هنا يخاف من شيء قط. لقد قالت سبب  
خوفها وصرحت به في بساطة شديدة، فقد ضايقوها في نفس  
المكان منذ فترة، وندمت على حكمي المتسرع، لقد وثقت في  
ووثقت فيها دون لحظة تردد.

منذ أعوام لم يتحدث معي شخص قط على هذا النحو، لم أر

وجهها حتى الآن، إلا أنها كانت تتحدث بشكل جاد فى هدوء،  
كانت تجيب عن استفساراتى بتأن، إلا أنها لم تستفسر عن  
شىء..

وبداً نور الصباح فى البزوغ تدريجياً، وللآن لم أكن قد رأيت  
وجهها، لكم خضت فى الحديث حتى لا أفكر فى النظر إليها  
وبعد ساعة من سيرنا أشرق الصباح.

وصلنا إلى قمة الجبل، كان ضياء الشمس ينتشر على صدر  
الجبل، كنا نتلاقى فى ظلال الجبال، ألم بها التعب، فجلست فوق  
إحدى الأحجار تنظر فى اندهاش إلى المنظر المواجه لها :  
جريان النهر بين الأشجار، نظرت إليها للمرة الأولى فقط على  
سبيل الفضول، كانت شابة، حسناء وسيمة، كان النهر يجرى  
صاخباً، وما إن تحدثت حتى التقطت أنفاسها.

سلطنا الطريق ثانية، كانت أنفاسها هادئة منتظمة تماماً  
كأقدامها، قلت لها : أحياناً أنظم الشعر، وقرأت بعضاً من  
أشعارى، أصغت إلىّ دون أن تتفوه بكلمة، قلت : أحياناً أصاب  
بالاكتئاب وأفقد الأمل فى الحياة، كما أننى لم أتزوج بعد، وقلت  
أيضاً : إننى أقمت فترة فى إحدى المصحات فقالت لى : من

فضلك، ألقى شعرك ثانية.

فألقيته وأصفت إليّ، ولزم كل منا الصمت لفترة.

أحياناً كانت تقف فجأة، كانت تقف وقتما تسمع صوت تغريد الطائر، اقتربنا من قمة الجبل، وأبطأت من خطواتي، كنت أتحدث بينما هي تنصت لي، إلا أنها تحدثت مرة واحدة فقط، قالت : تعلمين ؟ أحياناً أتخيل أن الطائر يغرد لي فقط. ورأيت ابتسامتها للمرة الأولى.

وصلنا إلى مقرنا، جلست في أحد الأركان، بينما جلست أنا بعيدة قليلاً تحت أشعة الشمس الدافئة، لا أعلم كم من الوقت مضى، فتحت عيني على صوتها، قالت : أريد أن أودعك؛ فحركت رأسي، ومضت .

كانت تسير عبر الطريق الجبلي الضيق المملوء بالمنحنيات والتعرجات، ظلت أراقب سيرها حتى اختفت، واستيقظت من نومي على إثر حرارة الظهيرة، كان المنظر بديعاً على مدى نظري، هبطت الجبل بهدوء دون تسرع، وحينما نزلت، رأيت جماعة تحتشد بجانب مجرى النهر، انحرفت عن طريقي وتوجهت إليهم، فإذا بطائر يغرد على مقربة منا، وامرأة قد



ارتطمت بالأرض، سلكت طريقى، تقدمت، نظرت، فإذا بشابة  
حسناء وسيمة تقول : تعلمين ؟ أحياناً أتخيل أن الطائر يغرد لى  
فقط.

## لعبة الحياة

فريده خردمند

نظرت في عينيهِ وأنا حائرة، وقلت : لن تكون رفيق منتصف الطريق.

واستمر مضطراً، كان واضحاً أنه قد وهن، وربما لم يكن يرى سبباً للاستمرار، أما أنا فكانت لدى رغبة مجنونة في مداومة الطريق لا أعلم من بدأ اللعبة ؟

هو أم أنا ؟

أحياناً أتخيل أنه لو كان يعلم منافسه من قبل لما اشترك في هذه اللعبة الخطرة، أحياناً أخرى أتخيل أنه لم يعلم حتى النهاية أنه قد اشترك في هذه اللعبة.

كان يظهر اللين في البداية، لكن سرعان ما اتسمت نظرتَه بالعداء، لقد شعر وهو في منتصف الطريق أنه سيكون الخاسر،

فقرر الرحيل، لكننى نظرت إلى عينيه فى حيرة، وقلت : لن تكون رفيق منتصف الطريق. كنت أعلم أن ما من طريق أمامه للهروب.

نحن الآن بين منحنيات الطريق وسط الجبال، لم نتمكن من الرؤية أمامنا أكثر من عدة أقدام، كان الضباب الكثيف يكسو المكان بأكمله، ما من شخص هنا، حتى الطائر الذى كنت أتخيل إمكانية مروره بين الجبال، كان المنحدر على الجهة اليمنى منا، وهو يمضى بجواره، بدت نظرتة وكأنه يلتمس عدم الاستمرار إلا أن الرغبة فى استمرار اللعبة كانت تزداد بداخلى فى كل لحظة. كان ينكس رأسه ولم تتلاق نظراتنا سوى ثلاث مرات فقط، وفى المرة الأخيرة كانت فى نظرتة رغبة ما أدركتها بسهولة، يريد أن يقول : اسمحي لى بالانصراف.

لم تكن الحاجة ماسة إلى الاستئذان، فما كان ينبغى القيام به هو القيام بتوديعى فى منتصف الطريق والعودة، وعلى هذا تنتهى اللعبة. لكنها - على النحو الذى أكملتها به - كان لها نهاية أخرى.

كلما ارتفعنا تصير المنحدرات أكثر عمقاً والضباب أكثر

كثافة، كانت معاناة اللعبة عجيبة وعلى نحو لم يتوقع قط، أحياناً كنت أحدثه وكأنتنى أعرفه منذ أعوام طوال.

نظرت ثانية إلى عينيه البراقة المنداة، أعترف أن جنون هذه اللعبة الخطرة قد تملك كل كيانى.

وقف أمام المنحدر، ينظر فى دهشة إلى الوديان المفعمة بالضباب، لم أكن أعلم ما الذى كان يفكر فيه آنذاك، فى ذلك اليوم، شهدت الجبال يوماً من أجمل أيام الشتاء.

كنا نتقدم فى صمت شديد وهو يمر بجوار الوادى فى هدوء، وانعدمت الرغبة لدى فى العبور من حافة المنحدر، لم يكن هذا جبناً منى، فكم من مرة زهوت فيها بنفسى وأنا فى أكثر منحدرات العالم عمقاً، لا، لم يكن جبناً منى، إننى كنت أعلم فقط أن زمن لعبة العبور من حافة المنحدر يستغرق أعواماً، فهذه اللعبة لم تثر الاضطراب بداخلى، بل تبدو من وجهة نظرى من قبيل الاستعراض.

كنت أكثر عشقاً للعبة الحياة التى أنا فيها الآن ففى هذه اللعبة لا وجود للفائز الذى يرفعون يديه كى يبتسم للمشاهدين فى خيلاء، ولا وجود للخاسر الذى يتوجه إلى المشاهدين فى تضائل، لأن

مشاهدي هذه اللعبة هم اللاعبون أنفسهم. أدرك جيداً أنني لو قمت بشرح لعبة الحياة إلى أى شخص فلن يفهمها.

كان هواء الجبل يضغط على قلبي بكل ما فيه من طراوة ونقاء، كان نبضى أسرع من المعتاد، لكن من القواعد الثابتة فى هذه اللعبة وجوب الاستمرار حتى اللحظات الأخيرة مثلما يحدث عند السير فوق الخط الحديدى، حيث يسير القطار مسرعاً، وتعلم أنه لن يتوقف، ويطلق صافرته، ويقترب لحظة بعد لحظة، عندئذ تتملكنى رغبة قوية للبقاء فوق الخط الحديدى.

لقد رأيت هذه اللعبة مراراً فى منامى، إلا أنني رأيت مناماً أكثر غرابة ليلة أمس، إنه السقوط، بقائى بين السماء والأرض، لم يملكنى الخوف من شىء، بل كنت أبتسم، ثم سمعت صوت صياح، كان الضباب الكثيف يكسو المكان بأكمله، لم ير أحد، ويقل الصياح رويداً رويداً.

ونسيت منافسى لفترة، وأفاقنى صوت غراب، وعادت ضربات قلبي إلى حالتها الطبيعية، وخرج الغراب من بين الضباب بصيحة خافتة واستقر على الأرض ينظر إلينا، أدت رأسى كى أسأله عن رأيه بشأن الغراب، فلم أجد له أثراً.



## قصة بلا عنوان

فريده خردمند

الساعة الآن الثامنة والنصف صباحاً، أجلس على مائدة العمل الخاصة بي، كانت الأوراق البيضاء تحفزني على الكتابة، بدأت قصة ليس لها عنوان إلى الآن، جعلت أكتب، وأشطب، وأتوقف في نهاية الجملة، إنه التردد، أختلف أنا والجملة، أشطبها، أكتب من جديد، وتترك الجملة غير تامة.

لا، لن أغيرها، يجب أن أصل بها إلى النهاية، أتأثر ... أثور، إنني أحب بداية الجملة، أقرأها مرات ومرات بصوت عال :  
كان في صوته رغبة في ...

وكأن الجملة تصر على ألا تنتهي. يرن جرس الهاتف، أمضى إليه، أرفع السماعة، «نعم»، فيقول رجل بصوت هادئ : أيمكنني التحدث معك ؟.

لا أتمكن من معرفة الصوت، فأقول : من أنت ؟

يرد: إنسان مثلك.

وتحضرني الجملة التي تراود ذهني، وينطق بها لساني على الفور :

- لكن العاطل ...

أضع السماعة، أعود إلى المائدة، هي نفس المائدة التي يأكل عليها ستة أشخاص، وقد أطلق زوجي عليها «مائدة أكل الكتب» لكثرة ما يفتersh عليها من دفاتر وكتب وأوراق.

وأكرر الجملة مرة، مرتين، ثلاث مرات، تقاومني الجملة، أغضب، ثم أنهض في النهاية. أتجه نحو المطبخ وأصب كوباً من الشاي الثقيل، أقف خلف النافذة على أمل العثور على نهاية الجملة، أمسح بيدي فوق الزجاج، أزيل من عليه بخار الماء، أرى الشارع، الأمطار تهطل بغزارة، وها هو السيد جواد ينزل الخضروات الطازجة المنداة من عربة نقل صغيرة صفراء اللون، كنت أتذكر بيني وبين نفسي : لم كانت فروغ تحب شد ضفائر ابنة السيد جواد ؟ ولا أجد رداً.

لقد نسيت بعض الشعر، ولم أذكر كذلك اسمه، عدت إلى

الحجرة وفى يدى كوب الشاى وأنا حائرة، أجلس على المائدة  
وإذا بالكلمات تجادلنى فوق الأوراق البيضاء :

- لا تستطيعين العثور على النهاية.

- أستطيع.

- لا، لا تستطيعين.

- قلت أستطيع.

لا أنظر إليها ثانية، أرفع رأسى إلى أعلى، تقع عينائى على  
سقف الحجرة المرتفع، لقد كان خريف هذا العام مفعماً  
بالأحداث، أنظر إلى أوراق الشجر الذابلة، فلها ذكرى طيبة لدى  
: فمئذ أعوام غرس أبى غصنين بجوار الحائط الأسمنتى،  
وسرعان ما جف الغصن الذى على الجهة اليمنى، كان والدى  
يقول إن جذره اصطدم بحجر، أما الذى على الجهة اليسرى  
فكان ينمو يوماً بعد يوم، وتغطى أوراقه الآن سطح الحائط  
الأسمنتى كله.

كان الغراب يأتى ويقبع فوق شجرة السنوبر القديمة وينعق،  
كان له جسد قبيح يتناسب مع صوته، أتجه ناحية النافذة، أتذكر  
يوماً تسلقت فيه الجدار وقطفت ثمار الكاكا، ومثل كل عام، كان

أبناء أخى يشاهدون العمّة من نافذة الطابق الثالث تتسلق  
الجدار كالأطفال وتقطف ثمار الكاكا الناضجة، أذكر أننى تركت  
بعض الثمار على أغصان الشجرة فى هذا العام من أجل  
العصافير الجوعى.

كنت أحب أيام الطفولة، والجرى فوق السور، وخطف العصا  
الرفيعة من حصير الجيران وشد ضفائر ابنة السيد جواد.  
أضحك على هذه الأيام التى كان الدمع فيها حقيقة والغضب  
جاداً، تلك الأيام التى تشعر فيها أن الحياة صغيرة وأنت تهوّل  
وراءها، وحين تكبر تفهم أنك كنت تسعى وراء شىء تجهل  
اسمه، تسعى أعواماً تقتفى أثره، وأبى كذلك كان يقتفى أثره،  
وإلا لما قضوا معظم حياتهم بين دهاليز المحاكم. إننى أرى  
الملاك المرمى يقف والميزان فى يده.

أخرج من ذكرياتى على صوت جرس الهاتف، أرد : نعم. إنه  
نفس الصوت، يقول : أنت آخر من يسمع صوتى، فالتزمت  
الصمت وترددت، يقول : من فضلك ... أضع السماعة، لكن  
سرعان ما أندم، أرفعها ثانية، فلا أسمع سوى صوت البوق  
الممتد. أقف وسط الغرفة وجهى تجاه النافذة، حقاً، ما الذى

قاله ؟ أيعرفنى أم لا ؟ ويسلبنى تائب الضمير راحتى، لكن الصوت غير مألوف لى، أغريب هو أم قريب ؟ ما الفرق؟ لا أعلم.

ويقع نظرى على المائدة وأتذكر الجملة الناقصة، أمضى تجاه المائدة، أحاول أن أقنع نفسى أن ما حدث مجرد معاكسة تليفونية. أجلس، أقرأ الجملة :  
كان فى صوته رغبة فى ...

أعتقد أن الكلمات صارت أكثر ليونة وعذوبة، فلم تعد تجادلنى، وكأنها فى انتظار النهاية، أحاول العثور على جملة أخرى أكثر عذوبة، ومرة أخرى يدوى صوت الهاتف فى الفضاء الساكن، أقفز من فوق المقعد، كدت أن أقع غير أنتى استعدت توازنى وأنا أسير على قدم واحدة، بالتأكيد إنه نفس الصوت، إذن لم يحدث مكروه حتى الآن :

- نعم.

- سلام.

إنه زوجى

- سلام

- من فضلك رتبى مائدة أكل الكتب، لدينا اليوم ضيوف.  
وبينما أقوم بجمع الكتب والأوراق، أفكر فى الجملة غير  
التامة وفى القصة التى بلا عنوان.

## يوم العطلة الأول

فريده خردمند

كنا فى حديقة كبيرة خارج المدينة، كان يتصل بها مبنى قديم، وها نحن قد وصلنا تواء، مضت ساعة. إنه اليوم الأول فى العطلة، كان من المقرر أن نمكث فى ذلك المكان عدة أيام، رافقتنا خالتى الحبيبة حشمت وزوجها وابنتاها، كانت بروين من نفس عمرى، أما بروانه فكانت من عمر أختى، كنا أنا وبروين فى العاشرة، وأختى وبروانه فى الثانية عشرة.

كان الكبار ينقلون المتاع والأثاث داخل المبنى القديم، أما نحن الصغار فقد اتفقنا على أن نلعب الاستغماية، أجرينا القرعة، وحل الدور على بروانه كى تغطى عينيها، ١، ٢، ٣، ثم جرينا كى نختبئ، لا أعلم لم أخفيت نفسى خلف أشجار الشمشاد<sup>(١)</sup>، فقد كان هذا المكان أبعد من أى مكان آخر.



عدت بروانه من ١ : ١٠ ثم مضت، وسرعان ما عثرت على بروين، فقد كانت تخفى نفسها ببلاهة خلف شتلة من الزهور، أسرعتا نحو الحائط، وضعت بروانه يديها عليه، فاحترقت بروين. كانت أختى تخفى نفسها خلف جدار منخفض غير مكتمل البناء، تقدمت بروين عدة خطوات، فرأتها، تخيلت فى البداية أنها رأتنى، كنا أنا وأختى كالتوأم، خرجت أختى من خلف الجدار المنخفض، كلتاهما تجرى، وهذه المرة أيضاً سرعان ما وضعت بروانه يديها على الحائط، واحترقت أختى، وبقيت بمفردى.

كانت بروانه تراقب حركة كل شىء، حتى طيران الذباب، تسير ببطء كاللصوص، كنت أنظر إليها وأنا بين أوراق الأشجار، سارت خلف أشجار الكريز والجوز، خلف شتلات الأزهار، خلف الجدران العالية والمنخفضة بالحديقة، وكذلك خلف أشجار الشمشاد، إلا أنني لم أتواجد فى أى مكان قط !! بعد ذلك توجهت إلى مبنى الحديقة القديم، دارت حوله، صعدت درجات السلم، دخلت المبنى ثم خرجت منه وهى فى حالة من الذهول والحيرة، تقدمت وهى تشبه تماماً من يسIRON

أثناء نومهم، جعلت تنتظر هنا وهناك، كلما تقدمت يتهياً لى أنها  
تنتظر إلى عيني، قلت فى نفسى :

انتهى الأمر، لقد عثرت على، وخرجت من خلف الأوراق، لكنها  
لم ترنى، لم أصدق أن القانون الطبيعى لهذه اللعبة القديمة قد بلغ  
هذا الحد من الاضطراب، أرهقها التعب، وقفت تصيح :  
- انتهت اللعبة، هيا اخرجى.

لكن مضت فترة حتى خرجت من مخبئى الأخضر، كانت  
الشمس قد توهجت فى السماء لدرجة أن ضياءها كان يؤذى  
عيني، وبروانه تتعرض للشمس، ومالت بشرتها إلى السواد، لم  
أكن أفهم كيف لا ترانى؟!

مضى الأطفال تجاه مبنى الحديقة القديم، ثم خرجوا منه  
بصحبة الكبار، لا شك أنهم قصوا عليهم كل شىء، فقد بدت  
أمى قلقة مضطربة رغم تمتعها بالتماسك، أما أبى فجعل ينظر  
هنا وهناك بعينه الزرقاوين كالبحر فى غضبه ويدخن السيجار،  
وزوج خالتى حشمت يمسك بلحيته المتوسطة الحجم ويفكر، يرفع  
رأسه أحياناً ويهمس بشىء ما. لا شك أنه كان يتخيل أننى  
اختفيت وينادى على الآن بذلك الهمس. وخالتى الحبيبة حشمت

ذات الوجه النوراني تسير بجوار مجرى النهر بينما تنهمر  
الدموع من عينيها، لا شك أنها كانت تتوهم أنها قد تعثر على  
داخل هذا المجرى.

لكننى لم أكن فى أى مكان، وإلى الآن لا أستطيع أن أصدق  
أننى فى ذلك اليوم - اليوم الأول للعطلة - قد ضللت طريقى  
بمثل هذه الهيئة داخل الحديقة.

## هامش

(١) شمشاد : شجرة العوسج، شجرة البقس، أو أية شجرة مستقيمة.

## تجاه ذلك الشارع

فريده خردمند

لم يتبق على منتصف الليل سوى دقائق قليلة، ثمة رجل  
مستغرق فى النوم وسط الظلام خلف صحيفة يغطى بها وجهه،  
وامرأة تهبط درجات السلم حيث يجب أن تخرج كيس القمامة -  
كالمعتاد كل ليلة - من المنزل رغم كل ما تشعر به من تعب،  
كانت تهبط الدرجة الأخيرة، وكسر صوت الباب الحديدى سكون  
منتصف الليل، نالت منها شدة برودة الجو، وفى ذلك الشارع  
يتدفق نور بلا انقطاع من أعلى السقف الأسمنتى على جوانب  
الأرض. سرعان ما وصلت عربة نقل القمامة، كانت المرأة تسند  
كيس القمامة الأسود على شجرة السنار وفجأة وقع نظرها على  
ذلك الشارع.

ثمة رجل عجوز يجلس ساكناً على الأرض دون حركة وقد

امتزجت ذرات النور الصفراء به فبدا كالقديس.

ظلت المرأة تنظر إليه فى دهشة وحيرة، ثم ما لبثت أن شعرت ببرودة الجو على عكس ما كان داخل المنزل، ارتعدت، دخلت المنزل وأغلقت الباب، توجهت مباشرة نحو المطبخ ووقفت أمام النافذة، لا يزال ذلك الرجل العجوز فى ذلك المكان.

ودفعة واحدة مرت فكرة عابرة فى خاطرها، توجهت مسرعة إلى المخزن، أشعلت المصباح، كان المخزن صغيراً لكنه كان منظماً، لفت انتباهها بالطوب بنى اللون، فأخذته من الشماعة، انحنت، أخذت بوتاً أسود اللون كان ملك زوجها، كان البوت كبيراً وثقيلاً، أخذت نفساً عميقاً، وأطفأت المصباح، توجهت إلى غرفة الأطفال، وأخرجت حقيبة صغيرة من تحت السرير، فتحتها، أخرجت من داخلها دمية صغيرة، ثم وضعت بمشقة بالغة الباطو والبوت بداخلها. ونظرت هذه المرة من نافذة غرفة الأطفال تجاه ذلك الشارع، لا يزال الرجل العجوز فى مكانه.

فتحت باب المشقة، الحقيبة صغيرة لكنها ثقيلة، هبطت درجات السلم، عندما بلغت الدرجة الأخيرة أخذت نفساً عميقاً ثم فتحت الباب الحديدى.

كان الرجل العجوز يجلس وسط هالة من النور، عبرت المرأة،  
وما إن وضعت قدميها في الشارع حتى أوقفها ضوء مصباح  
إحدى السيارات، إنها «دورية الليل»، يجلس شرطيان في  
السيارة، أحدهما بجوار السائق وكان ضخم البنية، وقد التفت  
إلى المرأة وقال :

– إلى أين ؟

وتشير إليه في اتجاه الشارع ويدها ترتعدان، نظر  
الشرطيان إلى ما أشارت إليه ثم إلى الحقيبة التي في يدها،  
ترتعد المرأة وهي تقول :

«هذه ... هذه الحقيبة من أجل ....»

وينظر الشرطيان ثانية تجاه ذلك الشارع، تقول المرأة في ارتباك :

« ... من أجل ... من أجله ...».

ويخرج الشرطي المجاور للسائق من السيارة، ويذهب تجاه  
ذلك الشارع، وينظر ثم يعود. كما جعل السائق يحرك رأسه  
يميناً ويساراً متفحصاً، وتعبّر المرأة الشارع دون أن تنطق  
بحرف وكأنها تسير في نومها، تقف، تنظر في دهشة، لا يوجد  
في ذلك الشارع سوى ظلال الأشجار ولا شيء آخر سواها.





## مسافر الليل

فريده خردمند

تم التوقف قليلاً أثناء الطريق، المسافرون يجلسون حول مائدة كبيرة فى المقهى، جميعهم يرتعد من كثرة التعب والإرهاق، لم يكن يروق لهم ذلك المقهى، وقف السائق على حافة الباب وأشار إليهم بالتحرك، جذبوا المقاعد إلى الخلف قليلاً حيث وجب الرحيل. كان الجو بالخارج بارداً معتماً، الأمطار تهطل بغزارة، يندفع مسافرو الليل، تجمعت مياه الأمطار فى المناطق المنخفضة، تنزلق أقدامهم فى الحفر، ويستمر هطول المطر، دنت المحطة، إنها تحوى سبع سيارات لنقل الركاب تنير مصابيحها.

صعدت امرأة السلم مع المسافرين، تأذت عيناها من الضوء الأحمر للمصابيح المعلقة بالسقف، كانت تسير فى ممر السيارة

مستاءة متبرمة، فرائحة العرق النفاذة تفوح من الأجساد  
والملابس، جلست على مقعد مجاور للنافذة ويجوارها شخص  
آخر يغط في نومه لم ينتبه لوجودها، كانت قطرات المطر فى ذلك  
الليل الحالك تتساقط على زجاج النافذة.

سلك الأتوبيس طريقه، كان رذاذ المطر الأسود ينسال على  
زجاج النافذة حتى حجبت المناظر على الطريق، والمسافرون  
غرباء صامتون، أغمضت المرأة عينيها، وشق الأتوبيس ظلام  
الليل الدامس.

رأت أنها تهرول فى فزع وتتعالى صيحاتها، تطوى إحدى  
الحارات، تقف أمام باب حديدى أخضر اللون، تطرق الباب، لا  
تسمع صوتاً، كان المنزل هادئاً مظلماً، تطرق الباب مرة أخرى،  
وإذا بهرة فوق الجدار تنظر إليها، وثبت نحوها، انقضت على  
وجهها، صاحت المرأة بصوت عال، أخفت وجهها بين يديها  
وجعلت تجرى.

ما من أحد فى الحارة. أثناء ذلك يلفح شعاع الشمس وجهها  
من خلف النافذة، وفتحت عينيها، هبط المسافرون سلم السيارة  
وهم متعبون دون اتزان، وتوقفت السيارة فى موقف السيارات،

وتنزل المرأة - وهى آخر مسافرى الليل - درجات السلم، وتسلك طريقها ويغادر المسافرون الميدان دفعة واحدة.

طوت المرأة إحدى الحارات، لقد مرت أعوام، طوت الحارة كلها حتى النهاية ثم عادت، وقفت أمام باب حديدى أخضر اللون، أخرجت المفتاح من حقيبتها، سقط على الأرض، انحنت وأخذته، لا يدور المفتاح فى قفل الباب، طرقت الباب، سمعت صوت أقدام خلف الباب الحديدى، ينفتح الباب، ثمة شخص غريب يقف على الأعتاب، كان الفناء خاوياً، لا أثر فيه للحديقة الصغيرة، ولا للقيشانى الأزرق فى حوض الماء، ولا للأسماك الملونة، تراجعت خطوة، فإذا بهرة تسير فوق الجدار، تملك المرأة الخوف، وضعت وجهها بين يديها، وأغلق الغريب الباب.



## المحطة

طاهره علوى

فى ظلام الليل أشار زوجى بيده من بعيد : «هيا»، حملت الحقيبة، وسارعت نحوه، والقطار يطلق صفيره من خلفنا، ومع كل صوت لهذا الصفير يندفع المسافرون بشكل أكثر، كانت ذرات الحصى تغطى المكان بأكمله، ورغم محاولاتي فى الإسراع إلا أننى كنت أتقدم فى سيرى ببطء.

وأخيراً، وفى اللحظة التى صعدت فيها درجات السلم، وصلت إليه، وضعت الحقيبة، وابتعدت عن السلالم العالية، لكن زوجى لم ينظر إلىّ ولو نظرة واحدة، كان مستاءً، لم ؟ لا أعلم ربما كان ذلك من أثر الزحام واندفاع الناس، ربما ...

دخل كابينة القطار، أغلق الباب فى عصبية، فوضعت الحقيبة فى أحد الأركان ووقفت عدة دقائق فى مكانى، كانت أضواء

مصاييح المساجد وحجر المحالجية تبدو خافتة فى ظلام الليل  
الحالك، لا يزال المسافرون يندفعون حتى الآن هنا وهناك دون  
أن يعرفوا أماكنهم.

ألقيت بنظري ثانية على كايينة القطار، كان المصباح بداخلها  
مغلقاً، لقد نام زوجي، إنه يعشق النوم أما أنا فقد أضناني  
التعب فذهبت لأنام، دخلت الكايينة دون أن أصدر صوتاً، أغلقت  
الباب من خلفي، سحبت الستار ثنية وراء أخرى، كان الهواء  
ملوثاً داخل الكايينة، أردت أن أنزل الزجاج وأسحبه قليلاً،  
فاستاء وهمس بشيء ما، لابد أنه شعر بالبرد، خجلت من  
نفسي، أخذت البطانية المكونة فى ركن المقعد وأنا أتحسس  
وأخفيت نفسي تحتها.

إننى أعشق صوت حركة القطار، فهى تشبه هدهدة الطفل،  
إن الأمر لا يفرق معى إذا ما بقيت يقظة طوال الليل، فما إن  
أغمض جفونى حتى يأخذنى النوم.

اشتدت الآن حركة القطار إلا أن سرعته كانت تقل شيئاً  
فشيناً، نظرت فى الساعة، كانت السادسة والنصف صباحاً،  
كان زوجي يلف البطانية عليه بإحكام ويحلم بالملوك السبعة،

ذهبت لأغسل وجهي، وحين عدت وجدته قد ارتدى ملابسه  
ويحاول سحب زجاج النافذة بصعوبة، كما كان قد فتح الباب  
الذي أوصدته. لكنه ليس زوجي، ارتبكت، اعتذرت على الفور،  
خرجت من الكابينة، لقد أخطأت في دخول الكابينة، عدت ثانية  
إلى الحمام، وجعلت أعد في هذه المرة بشكل أكثر دقة : «...»  
٥.٤.٣

كابينتتا هي خامس كابينة بعد الحمام، كان بابها مفتوحاً،  
لكن الستائر كانت منسدلة، مضيت، سحبت الستار فخرج نفس  
الرجل من الكابينة دون أن ينظر إليّ، أدار رأسه هنا وهناك،  
ونظر تجاه الطريقة، بدا وكأنه يحدث نفسه ثم قال : «أين ذهبت  
إذن هذه المرأة».

كان القطار يتجه ناحية المحطة شيئاً فشيئاً، وقلبي يتملكه  
الاضطراب بشدة، لقد ضللت طريقى إلى الكابينة، لكن كيف  
يمكن هذا ؟!

عدت ثانية إلى الحمام، توجد كابينة المسئول عن القطار بعد  
صنبور المياه الملاصق لجدار الحمام، وخامس كابينة بعدها هي  
كابينتتا، كان نفس الرجل واقفاً أمام الباب !!



قلت : «من فضلك» وأزحت الستار برفق، فإذا بحقيبة زوجي في أحد أركان الكابينة، فهدأ بالي، لابد أنه ذهب إلى الحمام، تملكنتي الدهشة قليلاً، فهو ليس ذلك الرجل الذي يترك حقيبته هكذا !! تقدمت قليلاً، وجلست على أحد المقاعد، فما من عمل لدى سوى انتظاره، ليته يأتى سريعاً.

كانت الطريقة ممثلة بالمسافرين، الجميع يرغب في الخروج من القطار أولاً، ولما كان هذا من المحال، كان جدالهم وصوتهم يعلو بين الحين والآخر، ولا يزال الرجل يقف أمام الباب، ويدير رأسه هنا وهناك، ثم توجه ناحيتي دفعة واحدة، وقال :  
«من فضلك، ألم تشاهدى زوجتى».

وحيثما تقدمت لأرد عليه، أدار رأسه، كان ذلك المسكين قلقاً على زوجته وكنت أنا كذلك قلقة على زوجي. أين ذهب ؟! لم تعد لى من حيلة سوى أن أنتظر فى القطار، وتوقف القطار، وفتحت أبوابه، واندفع الناس إلى المحطة كأسراب النمل أو الجراد، كانت ساعة المحطة تشير إلى السابعة، والرجل يسير مضطرباً حائراً من هذا الطريق إلى ذاك وهو يقول :  
«لِمَ لَمْ تَأْتِ ؟ أين ذهبت ؟!»

خرجت من الكابينة، أحاول فتح باب الحمام، إنه مغلق، ومن غير اليسير الآن العثور على مسئول القطار، ماذا يجب أن أفعل؟ ثمة مطعم فى نهاية العربة الثالثة، ربما توجه إليه ليتناول كوباً من الشاي ! لكن باب المطعم كان مغلقاً، وأشار شاب لى بأن المطعم لا يعمل الآن. صحت :

«أبحث عن زوجى ...»

لكنه لم يبال ومضى فى طريقه، وقفت لعدة لحظات فى نفس المكان، كان قلبى يخفق بشدة، عدت إلى الكابينة، لم يكن ذلك الرجل فى الطريقة، لابد أنه عثر على زوجته ومضى، صاح أحد المسئولين فى الخارج وقال :

«ماذا تفعلين هناك أيتها المرأة ؟ هيا، انزلى »

لم أستطع الانتظار أكثر من ذلك فى القطار، ذهبت إلى الكابينة لأحمل حقيبة زوجى لكن لا أثر لها، أخذت نفساً عميقاً فقد هدأ بالى وارتاح خاطرى واطمأن قلبى لعدم حدوث مكروه له، لابد أنه جاء إلى الكابينة بعد خروجى منها وحمل حقيبته وهو الآن فى انتظارى بالخارج.

خرجت من القطار مسرعة، جعلت أقتفى أثره بين الجميع،

لكن العثور عليه وسط هذا الزحام ليس بالأمر الهين، قررت الانتظار قليلاً حتى تخلو المحطة، ذهبت إلى أحد الأركان ووقفت، لكنني اضطررت بعد لحظات إلى تبديل مكاني، لكن ما من فائدة، فكل مكان أقف فيه أكون سبباً لزيادة الزحام، فهذا يصطدم بي وذاك يقول :

«ابتعدى قليلاً عن الطريق ...»

وأخيراً، مضيت إلى ركن في المحطة وجلست فوق الأريكة، بدأت عيناى فى الذبول، وضعت رأسى بين يدى للحظة، وأغلقت عيني، وفجأة هز شخص ساعدى بقوة وهو يقول :

– أين كنت ؟

قفزت من مكاني، فوجدته نفس الرجل الذى فقد زوجته، فقال:

– أسف سيدتى، لقد أخطأت.

ثم حمل الحقيبة ومضى.

## الإحصاء

### ظاهرة علوى

أجلس على المقعد، أمسك المشط، أمشط شعري، إنه أسود كالليل، قصير كالمنام، حينما يبلغ المشط نهاية الشعر أبدأ من جديد، من أعلى إلى أسفل، من الخلف إلى الأمام، مرة، عشر مرات، مائة مرة، فهذه هي أفضل طريقة.

لقد نصحنى الطبيب أن أمشط شعري كل ليلة مائة مرة بقوة لتنشيط الدورة الدموية ومنع تساقطه لكن معظم شعري لا يزال يسقط، كم يتملكنى الضيق حينما أضعه صفاً فوق التسريحة وأقوم بعده، يقول الطبيب : من الأجدر ألا تقومى بعده ما دام يؤلمك . إن عدد الشعر المتساقط يزداد فى كل ليلة عن الليلة السابقة :

– «مائة، مائة وعشر، مائة وعشرون، مائة و....»

لكننى لا أستطيع الكف عن هذه العادة، يقولون إن عدد الشعر المتساقط ينبئ بما سيكون عليه اليوم، فإذا كان كثيراً كان اليوم عصيباً، وإذا ما مر اليوم عصيباً فبالطبع يزداد عدد الشعر المتساقط.

أرى زوجى فى المرأة وهو يسير تجاه مكتبه، يجلس ويمسك بقلمه، ويضع الأوراق أمامه، إننى أعلم مدى حبه لعمله ! وأنا أيضاً أحبه للغاية، لكننى لست واثقة من علمه بذلك، أفتح شفتى كي أصرح بهذا الحب، فيتلعثم صوتى فى حلقى ولا يخرج، ربما حتى لو خرج لن يسمعه زوجى. جربت مرة أخرى، أفتح فمى، لكن سرعان ما يملكنى الخجل و أستأنف تمشيـط شعـرى :

– «مائة وعشرون، مائة وثلاثون، مائة و ....»

يوجد سبعة وثمانون أو ربما ثمانية وسبعون سبباً لسقوط الشعر، يقولون إن أهمها : نقص الغذاء، الأمراض الميكروبية، والإنقاص المفاجئ فى الوزن والأرق العصبى لكننى أتسم بالهدوء وهذا ما يردده زوجى.

إننى أعلم تماماً أن عمله يستلزم الهدوء، يجب أن يكون المنزل هادئاً وكذلك الزوجة.

إن الشعر يتساقط بشكل طبيعي بمعدل ستين إلى مائة شعرة يومياً، وينصح الأطباء بضرورة تناول الطعام بشكل جيد وأخذ قسط كاف من النوم، ولكي أخلد إلى النوم أقوم أولاً بعد النجوم : « ١ . ٢ . ٣ ، .... » ثم يقع نظري على التسريحة التي يصطف شعري فوقها، فأستمر في العد : « ٤ ، ٥ ، ٦ ، .... ».

قالت إحدى صديقاتي لي أول أمس :

« أنت عملت في رأسك نفقاً ؟ »

وما قالتها كان حقاً، فالشعر المتساقط جعل مفرق رأسي واسعاً جداً، وضحك زوجي، لم أر ضحكته منذ زمن، وضحكت أنا كذلك لضحكه، ضحكت بشدة، على الرغم من ذلك فقد بلغ تعداد شعري المتساقط في تلك الليلة مائة وخمساً وأربعين شعرة.

لكنني قررت عدم القيام بهذا الأمر ثانية، قمت من مكاني، تجولت في المنزل، كان زوجي منهمكا في عمله، كانت الكلمات تتدفق من قلمه بسرعة، أدنو منه، أرغب في أن أمرر يدي على شعره المجعد، لكنني أخشى أن تتعثر الكلمات وتهرب من ذهنه، كنت أقف بجواره فترة طويلة على هذه الحال دون أن ينتبه

لوجودى، إنه يقول :

- «حينما أقوم بعمل يكون ذهنى فى مكان آخر»

عدت لأقف أمام المرآة، كنت أرغب فى طرح الشعر المصطف على التسريحة بعيداً، لكننى لم أفعل، وقمت بعده، وفكرت فى شيء آخر .

«مائة وأربعون، مائة وخمسون، مائة و....».

إن شعرى المتساقط أعاد ذكرى الأموات على خاطرى،  
وأعادتنى ذكرى الأموات إلى ذكرى الأمهات اللائى رحلن،  
وأعادتنى ذكراهن إلى ذكرى أمى التى لا تزال على قيد الحياة،  
لكنها لم تأت إلى منزلنا منذ عهد بعيد، لكم اشتقت إليها !  
وأفاقنى صوت المقعد وهو يسحبه، فمسحت دموعى على  
الفور، كنت أعلم أن زوجى يتأثر من البكاء، فهذه هى حال  
الفنانين، فهم شديدو الحساسية تؤثر فيهم أقل الأشياء ويتأذون  
من أجلها. هذا ما كان يقوله زوجى وأنا أصدقته دوماً. أساساً  
أنا أصدق كل ما يقوله، وهذا ما تقوله أمى.

وقبل أن أنتهز الفرصة للحوار مع نفسى، أو على الأقل لجمع  
الشعر المتساقط من فوق التسريحة وتنظيمه، وضعت المشط فوق



رأسى، فتدحرج برفق من بين أصابعى وسقط أمامى على الأرض. حمداً لله، لم ينتبه زوجى إلى شىء، سألته : سبع أم ضبع ؟ ولم يرد علىّ، كان يبتسم فقط، كنت أعلم أنه سبع، فقد كان سبعاً على الدوام، أخذ يدي بين يديه للحظة، ثم ألقى بجسده على السرير، وحينما رغب فى النهوض تملكنى الضيق والغضب، بقيت على الوسادة أتتبع صوت أقدامه بعينى المغلقة، توقف للحظة بجوار التسريحة، شاهد شعرى هذه المرة، ينظر إلى وهو يبتسم فى سخرية، ثم يمضى.

«إن الضحك على الميت لمن القسوة» على الرغم من أنه فنان!!

وبعد لحظات يعلو صوت السيوفون، وأمسك بالمشط ثانية

بإحكام بين أصابعى، وأعد :

– «مائة وستون، مائة وسبعون، ...»



## ضياع امرأة متوسطة

ظاهرة علوى

أجلس فى المطبخ أمام النافذة، أنظر أحياناً بالساعات على النوافذ المقابلة، على هذه النافذة القريبة التى أسمع منها صوت مذياع الإذاعة بجلاء، وعلى تلك البعيدة التى تظهر منها هالة من الضوء وثنية من الستارة. عندئذ أحاول أن أتخيل من يعيشون خلف هذه النوافذ، هل هم خائفون ؟ هل هم سعداء ؟ ... هذا هو الشيء الذى أقضى فيه معظم أوقاتي.

وخارج المطبخ، تعلو صيحات خمسة أطفال تتراوح أعمارهم بين السابعة والثامنة، اثنان منهما ابنا الجارة التى تسكن فى الشقة السفلية، وأحدهم ابن الجارة التى على يميني، واثنان ابناي أنا، غالباً ما يكون تجمعهم فى منزلى لأن لدينا سلحفاة وطيوراً وبعض أنواع العناكب والحشرات.

ويدوى صوت الموتوسيكل فى الحارة، إنه بائع الصحف، أعد حتى الرقم ٢٥ فيعلو صوت طرقة، إنه يلقي بالصحيفة من أعلى الباب إلى الفناء، أصعد على الفور، أطوى درجات السلم فى سرعة، أقف وسط الفناء الذى تبلغ مساحته ٥×٣ م، أخطو مسرعة نحو الصحيفة، أنحنى، أمسكها، ألقى نظرة خاطفة على العناوين العريضة فى صفحتها الأولى، ثم ألث بحثاً عن صفحة الحوادث، إنها ممثلة بالأخبار، فأشعر بالسعادة لأن قراءة هذه الصفحة مما يروح عنى. أهبط السلم درجة بعد أخرى أو درجتين درجتين، فكلما أسرعت تمكنت من الاستمتاع.

أتجه إلى الحجرة الخلفية، وهو المكان الذى لا يصل إليه أى صوت أو أى ضوء، أضىء المصباح، وأتجه فوراً إلى صفحتى المحببة، أقرأها بشغف بالغ، غالباً ما يصيبنى الفزع والخوف بعد قراءة هذا النوع من الأخبار، وإذا ما كان الموضوع غريباً أو مؤلماً تتغير نظراتى لفترة تجاه كل من حولى، خاصة زوجى وأطفالى، أتجنب كل شىء وكل شخص، وهذا هو سر سعادتى.

واليوم تمتلئ صفحة الحوادث بالأخبار، إلا أنها لا تحوى موضوعاً خاصاً، فهذا تقرير عن حادث فى أحد شوارع همدان،

وهذا خبر عن انتحار شاب فى السادسة عشرة من عمره، وهذا موضوع حول مشاجرة بين صديقين أدت إلى مصرع أحدهما، وهكذا.

لكننى أفضل الموضوعات التى تتعلق بالأسرة، وبينما أُللم صفحات الجريدة، يقع بصرى على صورة إحدى السيدات، وكتبوا فوقها :

- «مفقودة» وتحت الصورة شرح عن ملابس اختفائها وعلى الرغم من أن مثل هذا الخبر دوماً ما يكتب على نفس هذا النسق فى ذلك الموضع إلا أن الأمر يختلف هذه المرة، تقول أحداث الخبر :

«حينما عاد الزوج إلى منزله بعد سفر استغرق عدة أيام، لم يجد أثراً لزوجته الشابة الحنون، ويطلب من القراء مساعدته فى العثور عليها والاتصال به على الهاتف الذى يبدأ بـ ٥٣٨»

- ما الذى يضطر المرأة لترك منزلها وحياتها ؟!

أدقق أكثر فى الصورة، إنها غير واضحة المعالم، وفجأة كاد قلبى يتوقف عن الحركة، زاغ بصرى، ارتبكت حواسى، ألقيت بالصحيفة بعيداً، وضعت رأسى بين يدى، ضغطت عليه، قلت لنفسى :

- «اهدئى ! اهدئى !» لكننى لم أستطع، نظرت ثانية إلى الصورة، إلهى ! كيف يمكن أن يحدث هذا ؟ قفزت من مكانى، تجولت فى الحجرة، خرجت، لا يزال الأطفال يلعبون فى نفس المكان، إنهم كالدملج يتحركون هنا وهناك، أتوجه إلى المطبخ، أغسل وجهى بالماء وكذلك رأسى، ألتقط أنفاسى عدة مرات، أعود إلى الحجرة ثانية، أنظر إلى من حولى، وتمر أحداث الماضى أمام عيني : الزواج، وشراء المنزل، وإنجاب الأطفال، و...

إننى أعرف هذه الحجرة منذ وقت طويل، أعرف مكان كل شئ فيها جيداً، أستطيع العثور على أقل الجزئيات وأنا مغمضة العينين.

أمسك الصحيفة ثانية، أقف تحت المصباح، أضع الصفحة تحت الضوء، أقرأ مرة أخرى النص المتعلق بـ «المفقودة»، أدقق النظر هذه المرة على الصورة، إنها هى، إنها أنا. هذه هى نفس الصورة التى أخذتها منذ بضعة أعوام لبطاقة التأمين الصحى. لدى منها نسخ أخرى، توجهت مسرعة أبحث عن ألبوم الصور، لا تزال إحداها فيه، كنت أرتدى المقنعة فى هذه الصورة ويبدو

بعض الشعر على جبهتي، نظرت إلى الصورة وهي أمامي،  
تتملكني الدهشة، كانت جيبتى طويلة إلى حد ما مراعاة  
الاحتشام وبها بعض الكسرات، ألقى بالصورة جانباً، يضطرب  
قلبي، أضع يدي فوقه، أحافظ على هدوئى بصعوبة، يستقر  
العرق بارداً فوق جبهتي، تخرج أنفاسى دون انتظام، أحاول أن  
ألتقطها بصعوبة، أشعر وأنا فى هذه الحال وكأن الحجرة قد  
خلت من ذرات الأكسجين، أقطع صفحة الحوادث على الفور،  
وأخفيها تحت مائدة الحياكة ومعها الصورة، أخرج من الغرفة،  
فإذا برائحة الطعام المحترق والدخان تملآن المطبخ، والأطفال  
يلتفون حول قفص الطيور يتأملون حركاتها، أتوجه بسرعة نحو  
المطبخ، أقوم بتشغيل شفاط الهواء، أحاول أن أزيل آثار هذا  
الجرم، أخفى الإناء المحترق تحت المنضدة، وأضع إناءً آخر فوق  
الموقد، وأجلس ثانية أمام النافذة، أفكر فى النوافذ المقابلة أو  
التي تليها، لكن ...

لم أجد الفرصة سانحة للنظر فى الصحيفة ثانية حتى  
الخمسة بعد ظهر الغد، حيث ذهب الأطفال مع آبائهم إلى  
حديقة الحيوان. وأخيراً، بعد ما خلا المنزل، أغلق باب الصلاة.

وأذهب إلى الحجرة، وأمسك بالصحيفة والصورة، وأعود إلى الصلاة حيث يجب أن أنظر إليها في النور، لا أعلم حقاً أى شعور ينتابني ؟ أريد أن أعرف، هل أنا تلك المرأة ؟ أم لا ؟

إن الموضوع الذى كتب تحت عنوان «مفقودة» يختلف عن بقية المواضيع التى تكتب فى هذا الموضع، واضح أن الذى كتبه إنسان متعلم مثقف، وضعت صورتى بجوار الصورة المنشورة فى الصحيفة، أتمعن فيهما، لا فرق، أحفظ رقم الهاتف، لكننى لم أستطع الاتصال به لمدة أسبوع.

إننى قلما أخرج من البيت، وحينما أضطر إلى ذلك يكون لشراء بعض الاحتياجات، وأحاول ألا أتقابل مع أى شخص. أتابع أخبار الصحيفة يومياً، أدقق فى صفحاتها، أريد أن أعرف، هل تم طبع الإعلان ثانية، أم لا ؟ لكن ما من خبر. ربما نشره فى صحيفة أخرى، لا أعلم، ولا يزال رقم الهاتف فى ذاكرتى.

حينما خلا المنزل جلست أمام الهاتف أطلب الرقم، وأحاول أن أضع يدي على فمى كى لا يصل صوت أنفاسى إلى الطرف الآخر، وعندئذ سمعت صوت رجل يتسم بالوقار والدفء، يقول



برفق : «نعم، تفضلنى» .

لكننى أقطع المكالمه على الفور لشده ما يملكنى من الخجل، فلم أقم بمثل هذا العمل قط، وفى المرة الثانية لم أقطع المكالمه، ولم يقطعها هو كذلك، ولزم كل منا الصمت، كنت مضطربة خائفة، أخشى أن يتعرف على رقمى من خلال الجهاز لديه، وبقيت على هذه الحال حتى بدأ الحديث، قائلاً :

«من فضلك، تحدثنى، لِمَ لا تتفوهى بشيء ؟ أعلم أنك لا تقومين بمعاكسة تليفونية، أنا واثق من أن لديك شيئاً ما تودين الإفصاح عنه، لكنك مترددة، أرجو أن تتخلى عن ترددك، فلن أنا لك بأى أذى، إذا كان الأمر يتعلق بالإعلان المنشور فى الصحيفه فاعلمى أننى أنتظر على شغف ...»

وأنهيت المكالمه على الفور، إذن إنه هو، إنه الرجل الذى يبحث عن زوجته. زوجته ؟ زوجته ؟

لقد تزوجت منذ عدة أعوام من أحد المعلمين، معلم مغمور، أو كما تقول أُمى «وسطى» سواء فى عمله أو فى سيره أو فى شكله العام أو فى معلوماته أو فى سلوكه أو فى حبه. والخلاصة أنه وسطى فى كل شيء.

لم أفكر فى التلاعب بمشاعر أى شخص، كنت دوماً أحذر  
نفسى :

«إن البشر ليسوا ألعوبة، ولا يجب أن يكونوا مصدراً للهوك  
ومرحك، إذا كنت عاطلة، فاذهبى وابحثى عن عمل فى أحد  
المصانع خارج البيت، لقد اقترح حسن عليك هذا مراراً، لكنك لم  
ترغبى، وإلا لما أهدرت وقتك فى المنزل أمام التلفون».

رغم كل هذا كنت أجلس أمام الهاتف، كانت يداى ترتعدان  
أثناء الاتصال، ولم أكد أصل إلى الرقم الرابع حتى علا صوت  
البوق، إنه مشغول، وضعت السماعة وذهبت لمتابعة أعمالى.

كان الوقت متأخراً، الساعة الآن العاشرة، إلا أننى رفعت  
السماعة ثانية وطلبت الرقم كاملاً، كنت أهين نفسى فى كل  
لحظة لأن أغلق السماعة لكننى لم أفعل، وفى الرنة الثالثة رفع  
رجل السماعة، كان صوته دوماً وقوراً هادئاً، لم يمنحنى  
الفرصة للتفكير :

- من فضلك، لا تنهى المكالمة، أرجوك.

واستمال الرجاء فى صوته قلبى، جعل يتحدث قرابة نصف  
الساعة، كان حديثه يتسم بالتفاؤل حيناً وبالحزن حيناً آخر،

وانهمر الدمع من عيني، ثم قال فى النهاية :

- يمكن أن تنهى المكالمة الآن، أظن أنتى أرهقتك، لكن عليك الاتصال بى ثانية فى نفس التوقيت، دعينى أتحدث معك نصف ساعة فقط، أنا لا أعلم شيئاً عنك، ولا أريد أن أعلم، لكننى أريد التحدث إليك فقط خلال اليوم، كائنك صديق، صديق مجهول، نتحدث معاً عن ألامنا ويواسى كل منا الآخر.

ودعنى دون أن ينهى المكالمة، كان ينتظر أن أنهىها أنا، وضعت السماعة ونظرت إلى الساعة، إنها العاشرة والنصف، «هذه ليست خيانة»، أكرر تلك الجملة على نفسى ألف مرة خلال اليوم، «هذه ليست خيانة»، رغم ذلك لم أستطع أن أحكى ما حدث لزوجى حسن، لقد مضت فترة على هذا الأمر، وذكره الآن يسبب بعض المشاكل، حتماً سيقول :

«لَمْ لَمْ تذكريه فى حينه ؟! وهو على حق.

مضى الآن ما يقرب من الشهرين على نشر الإعلان، كانت الحياة تسير كالمعتاد، لكن هاتفى كان مشغولاً دوماً ما بين العاشرة وحتى العاشرة والنصف، انقطعت تماماً عن الخروج. أركع كل يوم أمام المنضدة الصغيرة التى يستقر عليها الهاتف،

وأتصل بذاك الرقم، وبعد الرنة الثالثة تماماً أسمع صوته الدافئ  
عبر البوق :

- «نعم ، تفضلى»

عندئذ يتوقف الزمان، وتقف الساعة ثلاثين دقيقة كاملة، دوماً  
يقول :

- يبدو أنتى أزعجتك.

وكنت أرد وكأنتى أريد الصياح :

- لا، لم أنزعج، لم أنزعج قط.

لا يمر يوم دون أن يكون فيه شيء يستحق الحديث، يوماً  
يتحدث عن جمع المعونات لمتضررى الزلازل، وفى اليوم التالى  
يتحدث عن حدث ما داخل أحد السجون، ... والخلاصة، كانت  
حياته تختلف عن حياة البشر العاديين التى يكتنفها الملل، لكننى  
إلى الآن كنت قليلة الكلام، أحياناً أبدي وجهة نظرى خلال جملة  
واحدة فقط، كنت أحاول أن يكون حديثى مقتضباً مفعماً  
بالمعانى، فهو شخص مثقف، ولم تكن لى القدرة على مواجهة  
مثل هذا النوع من البشر، لم أرغب فى الحديث بشيء يهز  
صورتى أمامه، رغم هذا، وبعد كل مكالمة، أقضى وقتاً فى

استعادة ما تفوهت به، وأذوب خجلاً، كنت أخشى أن يكون حكمه على كحكمي على حسن، فحسن إنسان وسطى، وأنا أستاذ من الوسطية، ولو كان من المقرر أن أكون كذلك، فأحبذ ألا أكون من الأساس.

إنه يختلف عن غيره، ينظر إلى كل موضوع من زاوية جديدة، وما ذكره لي لم أسمع من أى شخص قط حتى يومنا هذا، يختلف فى أسلوبه عن أسلوب الآخرين.

وثمة فرق آخر وهو أنه لم يجبرنى على القيام بعمل لا أريده قط، لم يفرض على أن أعطيه رقم هاتفى أو عنوانى، وعلى سبيل المثال، لم يصر قط على معرفة شىء ما لا أستسيغه فى حديثه، كان يطلب، بل كان يقترح فقط أن نتقابل، إلا أنه لم يلح فى ذلك، كان يتركنى حتى أعتاد عليه يوماً بعد يوم، لم يكن كثير المطالب، كان يرجو رؤيتى عن بعد فقط.

وقبلت فى النهاية، كنت أقف تحت شجرة بالقرب من ميدان ولى العصر، بينما كان ينتظر فى الطرف المقابل أمام البنك التجارى، وبعد لحظات يمضى كل منا إلى حال سبيله.

كان طويل القامة، شعره قد خطه الشيب، وجهه يلمع تحت

أشعة الشمس، أما أنا فقد ذهبت بالمانتو والإيشارب الأسود،  
أردت أن أسير دون مبالاة، لكنني حينما رأيت وجهه الحزين  
تملكني الألم، فوقفت للحظة تحت الشجرة وهو ينظر إليّ  
ويبتسم.

عدت إلى المنزل مسرعة، فكرت ألا أتصل به ثانية، كيف يفكر  
فى الآن ؟

هل يظن أنني امرأة مستهترة يمكن أن تخرج من منزلها عند  
إبداء أقل نوع من الاهتمام بها ؟ وعلى الرغم من ذلك اتصلت  
فى غداة ذلك اليوم فى تمام الساعة العاشرة، كان صوته يرتعد  
شوقاً، يتحدث بشغف بالغ، شغف يفوق كل يوم، ألح على أن  
نتقابل فى نفس اليوم.

منذ ذلك اليوم كان جلوسنا فى إحدى الكافيتريات، وذات  
مرة وبينما يقوم بإخراج النقود من حقيبته لدفع الفاتورة رأيت  
صورة امرأة، إنها نفس الصورة المنشورة فى الصحيفة، هى  
نفس الصورة مقاس ٤ x ٦ التى أخذتها لبطاقة التأمين  
الصحى، بعدها عرض على أن أشاهد بعض الصور، ومضينا  
فى الطريق جنباً إلى جنب ونحن نشاهد الصور، وحينما نظرت

من بعيد إليه ثانية وجدته مألوفاً للغاية لدى، كنت أشعر أنني رأيت مرّات ومرّات، ربما كان هذا من أثر مشاهدة الصور !!.

وضعت رأسي على زجاج التاكسي، وفكرت أن دوائي هو أخذ حمام بارد وقرص إسبرين.

لم أستطع أن أرفع رأسي عن الوسادة لمدة يومين، وحينما نهضت من السرير كنت أتعرف على نفسي بصعوبة شديدة، لقد شحب وجهي، وتورمت عيني وشعث شعري.

مضيت إلى الهاتف وأنا على هذه الحال كي أسمع صوته، وفجأة جالت بخاطري آلاف الأخيلة، إنها أنا، هناك، بردائي وزينتي، بنفس الابتسامة، بنفس النظرة، تلك النظرة الحائرة، كأن كل شيء يحدث للمرة الأولى، أو للمرة الألف، كل ما يحدث يوضح أنني غريبة، إنني أعرف كل شيء، ماذا أفعل ؟ لا أعلم، لقد تقارب كل من جهلي وعلمي وصارا كأنهما شيء واحد !!

وفي صباح الغد، وقفت أمام منزل قديم، يقع في حارة طويلة ضيقة، ترتفع قليلاً عن تقاطع اميريه، سألت نفسي : ماذا أفعل هنا ؟ أريد العودة، ينفّث الباب الحديدى، ويخرج رجل ويقول :

– أحسنت بمجيئك، أهلاً بك في منزلك، لماذا تقفين ؟!

وبدأ الظلام يحل على المكان، أشرت بيدي إلى أول تاكسي،  
يقول السائق :

- ثلاثمائة طومان حتى شارع انقلاب (أى الثورة).  
أعود إلى المنزل، أعاهد نفسي على عدم الاتصال ثانية، لن  
أتصل غداً، ولا بعد غد، ولا الأسبوع القادم. لكننى لم أستطع، أعد  
اللحظات حتى أجلس أمام الهاتف، أتصل بـ ٥٢٨ ويبدأ ترتعدان،  
فعلت هذا مع أول فرصة خلا فيها المنزل، فإذا برجل يقول :

- من فضلك سيدتى، من تريدين ؟
- السيد جواد .
- إنه غير موجود.
- لا يقيم هنا منذ أعوام .
- كيف هذا ؟ لقد حدثته منذ أيام !
- ثمة خطأ يا سيدتى، إنه فى أوروبا منذ فترة
- أوروبا !! أنت كاذب .
- سيدتى، من فضلك، لا تبدئى بالإهانة.
- إذن أعطه السماعه، يجب أن أحدثه، لدى كلام مهم.
- سيدتى، بأية لغة أتحدث ؟ إنه غير موجود فى إيران منذ



أعوام، وليس لدى أى رقم له.

- سيدى الفاضل، أرجوك لا تتعبنى أكثر من هذا، لو أنه قد قال لك أن تبلغنى أنه ليس بالمنزل ...

- سيدتى، الموضوع ليس كذلك، هو غير موجود فى الواقع.

- على الأقل أخبره برسالتى.

- أنا فى شدة الخجل منك سيدتى، ليس فى إمكانى ذلك،

كيف أبلغها إليه ؟

- إنك تكذب، أنا واثقة من ذلك، لكنك أخطأت خطأ كبيراً،

خطأ لا يغتفر، أنت لا تعلم أصلاً ما هو هدفى، أريد أن أتحدث معه بشأن الإعلان المنشور فى الصحيفة، إنه أمر غاية فى الأهمية.

- أى إعلان ؟!

- المتعلق بفقد زوجته.

- نعم، تذكرت، أهذا ما كنت تقصدين ؟ حسن، لقد مضى

عليه وقت طويل، أعوام طوال، إنه منذ فترة طويلة.

- أنا لا أصدقك، أنتخيل أنك تتحدث مع مجنونة ؟! أنا لا

أريد أن أسمع صوتك الشؤم هذا ثانية، لا أريد ...

وأضع السماعة فوق الهاتف، وأنهض من مكاني، أين  
الصحيفة ؟

يجب أن أجدها، يجب أن أجد الإعلان المنشور فيها، فهو  
الذكرى الوحيدة الباقية لى.

## المتريمة

هريذا عزت محمد

- أستاذ مساعد بكلية الآداب - جامعة المنوفية - قسم اللغات  
الشرقية (فرع اللغة الفارسية)  
- حاصلة على الدكتوراه فى الأدب الفارسى ١٩٩٦ - من جامعة  
عين شمس.

- من إنتاجها العلمى :

\* العلاقات الإيرانية الألمانية وأثرها على الأدب الفارسى فى القرن  
العشرين (١٩٩٧).

\* صورة المرأة فى الشعر الفارسى الحديث والمعاصر (١٩٩٨).

\* المسرح الإيراني فى الربع الأول من القرن العشرين (١٩٩٩).

\* ترجمة ودراسة لرواية «لا تنسى» للكاتبة مريم جعفرى  
(٢٠٠٣).

\* ترجمة ودراسة لكتاب «الثورة الإسلامية» - المقدمات والأسباب  
للدكتور صادق زيبا كلام (٢٠٠٤).

المختوى

المختوى

المختوى

٧.....	تقديم
١١ .....	أوليسيا
١٩ .....	النافذة
٣١ .....	الطائر
٣٥ .....	لعبة الحياة
٣٩ .....	قصة بلا عنوان
٤٥ .....	يوم العطلة الأول
٤٩ .....	تجاه ذلك الشارع
٥٣ .....	مسافر الليل
٥٧ .....	المحطة
٦٣ .....	الإحصاء
٦٩ .....	ضباع امرأة متوسطة

### للنشر في السلسلة :

\* يتقدم الكاتب بنسختين من الكتاب على أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء .  
ويفضل أن يسلم إرفاق أسطوانة ( C.D ) أو ديسك إن أمكن .

\* يقدم الكاتب أو المحقق أو المترجم سيرة ذاتية مختصرة تضم بياناته الشخصية وأعماله المطبوعة .

\* السلسلة غير ملزمة برد النسخ المقدمة إليها سواء طُبِع الكتاب أو لم يطبع .

## إصدارات آفاق عالمية

٤٥- نماذج من النقد الروسى الحديث  
ترجمة : د. أنور إبراهيم

٤٦- تشارلز ديكنز  
تأليف : جورج ونج  
ترجمة : فريدة النقاش

٤٧- اتحاد العمال يدفن رجله المتوفى (وقصص أخرى)  
مختارات من : هنرى لوسون  
ترجمة وتقديم يوسف عبد العزيز على

٤٨- سافو شاعرة الحب والجمال عند اليونان  
تأليف : د. عبد الغفار مكاوى

٤٩- كلب بنى غامق (وقصص أخرى)  
اختيار وترجمة : فؤاد قنديل

٥٠- رجل القمر بيلي كولنز  
ترجمة : أحمد الشافعى





# سلسلة آفاق عالمية

منذ فجر التاريخ الإنساني والثقافة الفارسية تكوّن رافداً بارزاً من مكوّنات الوعي والفكر، إلى أنها تشكل مع الثقافة العربية بؤرة إشعاع ثقافي امتدّت العالم باستنارة حقيقية عبر العصور، وبخاصة وهي تمتزج بها نقلاً وترجمة وتفاعلاً. وفي هذا الكتاب يستطيع القارئ أن يطلع على أحد ملامح الأدب الفارسي في تجلياته العصرية؛ إذ تقدم لنا د. هويدا عزت صوت المبدعة الإيرانية عبر نماذج من القصة القصيرة لكاتبتين تمثلان هذه الظاهرة، وتقّان رائدتين للأدب النسائي هناك.

وإذا كان الحس الإنساني هو أبرز ما يشيع في هذه القصص بتلاحم هذا الحس مع ضمير الكاتبة - في كل قصة - واختراقه لتفاصيل الحياة اليومية؛ فإن الإطار الفني لهذه النماذج سيكون الرهان الحقيقي الذي يتجلى فيه الحس الإنساني الإيراني المعاصر لاثنتين من أكثر الكاتبات وعياً وطموحاً في التجديد.



المهنية  
العامة  
للقصور  
الثقافة

السعر: جنيهان

Bibliotheca Alexandrina



0707503